

اسم المادة: سورة عبس

من سلسلة: تفسير جزء عمّ

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى اللّه

اسـم المادة: سورة عبس
من سلسلة: تفسير جزء عمّ
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، بإذن الله –عز وجل– هنستكمل مع بعض دورة بصائر قرآنية –الجزء الثاني– في شرح جزء عم.

بنكرر دايمًا إن احنا قولنا إن كان الغرض الأساسي من الجزء الأول من دورة بصائر القرآنية: تحويل أهمية القرآن وتدبر القرآن من مجرد معلومة عندنا إلى إن هي عقيدة تستقر في القلب. فالعقيدة الإنسان بينافح عنها، بيجاهد من أجلها، بيبحث عنها حتى تستقر في قلب الإنسان.

وقلنا إن الجزء الثاني هو بداية للارتباط التفصيلي.

فكان الجزء الأول ارتباط مجمل: أن القرآن مهم، والقرآن لازم نتدبره، القرآن نور، القرآن هدى، وبصائر، وبينات، طيب عايزين الحاجات دي تدخل في حياتنا، فلازم يحدث ارتباط مفصّل بكتاب الله –عز وجل–.

وقلنا هنبدأ بما بدأ نزول القرآن، غالب سور جزء عم سور مفصّلة، طَرقات سريعة على قلب الإنسان الغافل، غالب سور جزء عم من أوائل ما نزل من القرآن. وإن كان فيه خلاف في بعض سور جزء عم أصلًا أنه مدني، بل فيه فعلا بعض السور مدنية. لكن احنا قلنا هنبدأ مع جزء عم بإذن الله –عز وجل– مع بعض. بفضل الله أخدنا سورة النبأ وسورة النازعات

والنهاردة بإذن الله مع بعض سورة عبس.

هذه السورة العظيمة: سورة (عبس وتولى). على خلاف في تسميتها، أيًا كان بياخدوا أول كلمة أو أول آية بتسمى أو سورة عبس، حقيقةً السورة دي سورة عظيمة جدًا.

والواحد بيتحرَّج وبيجد في صدره حرج أن يشرح هذه السورة، وخاصةً لأنها عتاب من الله –عز وجل– في بدايتها للنبي –صلى الله عليه وسلم–، ويخشى الإنسان ألا يوفي النبي –صلى الله عليه وسلم– حقه. ويخاف غصبًا عنه وهو بيتكلم حتى، ولقيت –سبحان الله– أن المعنى ده أشار إليه بعض المفسرين؛ أنه كان متهيبًا وتردد كثيرًا إنه يكتب في هذه السورة، حفظًا لمقام النبي –صلى الله عليه وسلم–، لأن احنا بجهلنا وممكن زلات ألسنتنا ما نستطيعش نوفي النبي –صلى الله عليه وسلم– حقه.

فطبعًا أولًا لازم نفهم زي ما ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ" آل عمران:١٤٤، وإن ربنا –سبحانه وتعالى– أراد أن يرتبط الناس بالدعوة. وربنا –سبحانه وتعالى– ربى الصحابة إن النبي –صلى

الله عليه وسلم– سيموت "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" الزمر:٣٠، ربنا –سبحانه وتعالى– أراد إن الصحابة يرتبطوا بكتاب الله –عز وجل– إلى يوم القيامة. وربنا حفظ سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكن ربنا مأردش أن يكون الارتباط الدائم بشخص النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولكن بسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وقلنا أن الله –عز وجل– لحفظ هذا الدين: إما حفظ النبي –صلى الله عليه وسلم– من الموت، أو حفظ القرآن من التغيير. فالله –عز وجل– بحكمته –سبحانه وتعالى– وبعلمه اختار أن القرآن هو الذي يُحفظ من التبديل، مش إن شخص النبي –صلى الله عليه وسلم– يُحفظ من الموت، ولكن سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– هي التي ربنا قيد لها رجالًا يحفظونها.

دي بس كانت مقدمة هامة، عشان لو الإنسان صدر منه وأنا باتكلم أي كلمة مابتوفيش حق النبي –صلى الله عليه وسلم– واحنا مهما تكلمنا عن فضل النبي –صلى الله عليه وسلم– على هذه الأمة، وقد إيه المجهود اللي بذله –صلى الله عليه وسلم–، لن نوفي النبي –صلى الله عليه وسلم– حقه، ولن يوفيه حقه إلا ربنا –سبحانه وتعالى–. ولذلك احنا لما بنيجي بنقدم جزء من الشكر بنطلب من ربنا إنه يصلي على النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ لإن احنا مانعرفش نؤدي الشكر، احنا دورنا نقول: يا رب، صلِ على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ لأن احنا مهما عملنا مش هنعرف نرد فضل النبي –صلى الله عليه وسلم– علينا.

بداية السورة

بدأت السورة بعتاب من الله –عز وجل– للنبي –صلى الله عليه وسلم– الموقف معروف طبعًا. موقف ابن أم مكتوم جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقعد يطلب من النبي –صلى الله عليه وسلم– في وقت كان فيه الكبراء والعظماء والأغنياء من قريش، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذه اللحظة يريد أن يُسلِم هؤلاء، ودايما الداعية بيبقى نفسه في إيمان أمثال هؤلاء؛ لأن دول لو آمنوا فيه ناس كثيرين جدًا متأثرين بهم. فحرص النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا مش على أموالهم ولا على ما معهم من مال؛ أبدًا، ولكن إن هؤلاء العظماء قد يُسخِّروا هذه الأموال لنصرة دين الله –عز وجل–، ونحن نمر بفترة استضعاف، وفي فترة الاستضعاف الإنسان بيبحث عن أي مخرج، طيب ممكن فلا يُسلم، يمكن لفلان أن يَنصر الدين، ممكن فلان يسخر الأدوات اللي معاه، ففي فترة الاستضعاف إنت بتبحث عن أي مخرج.
في وسط الاستضعاف المكي ييجي ابن أم مكتوم ويطلب من النبي –صلى الله عليه وسلم– أكثر من مرة وهو أعمى إنه يلتفت إليه أو يترك هؤلاء العظماء، والنبي –صلى الله عليه وسلم– مرتبط بهؤلاء، فعبس النبي –صلى الله عليه وسلم–. مع إنه كان أعمى، وابن أم مكتوم –رضي الله عنه– ماشافش ده كان أعمى، مجرد العبوس والتولي عنه والإعراض عنه والاهتمام بعظماء قريش وتمني أن دول يسلموا؛ نزل بسببه العتاب.

فلماذا العتاب؟

ليه العتاب؟ وتعالوا نشوف عايزين نمشي مع التفاصيل اللي في السورة. ربنا –سبحانه وتعالى– في أول السورة بيقول: "عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى"



بدأت السورة بملمح قسمات لوجه النبي –صلى الله عليه وسلم–، وهنا النبي –صلى الله عليه وسلم– هو الداعية الأول اللي مفروض يسير على نهجه الدعاة، فلما الله –عز وجل– يعاتب النبي –صلى الله عليه وسلم– المفروض الداعية يحط العتاب ده في حسبانه، وأنه ممكن يقع في هذا ده طبيعي.

فبدأت السورة بقسمات الوجه، وده يدل أن قسمات وجه الداعية لازم ياخد باله منها، إن ملامح وجه الداعية لازم ياخد باله منها، الإنسان وهو يسير في الطرقات بين الناس؛ مجرد إنك تنسي إلقاء السلام على الناس ده ممكن يخلي الناس تزعل منك.

أنا أذكر في إحدى المعتكفات في رمضان، في وسط الاعتكاف –في اليوم الخامس أو السادس– من الاعتكاف، فجأة لقيت أحد الدعاة اللي كان معتكف معايا جايب أخ وجاي بيقول لي: أنا عندي عتاب صغير. فقلت له: فيه إيه؟ فلقيت الأخ اللي معاه بيبكي، فبقول للأخ الصغير: إنت بتعيط ليه؟ فالداعية بيقول لي: ده هو زعلان منك، انت آذيته! فقلت له: أنا؟! ده أنا جاي مستغرب إنه معاك، قال لي: إنه جه أكثر من مرة يكلمك، وانت كنت مشغول ومتجهم بترتيب الاعتكافات فاعتقد إنك انت لا تأبه له أو مش واخد بالك منه؛ فبكى!

فممكن قد إيه قسمات وجه بس الداعية وملامح وجه الداعية تؤثر في المدعو وأنت لا تشعر.

إنك تحافظ على الابتسامة وتحافظ على السكينة والطمأنينة دي بتبث مشاعر للمدعوين، فالداعية لازم يبقى واخد باله حتى من قسمات الوجه حتى من إلقاء السلام.

كان برضه أخ داعية في منطقة ناس زعلانة منه، ليه؟ بيقولك بينسى يسلم علينا في الرايحة والجاية. يعني مجرد أشياء بسيطة جدًا، لكن الداعية في كلماته وفي نظراته وفي قسمات وجهه وفي حركاته لابد أن يكون على حذر. مجرد إنه يلقى الناس بوجه طلق وبوجه متبسم ده أمر مهم جدًا.

فإن البداية تبدأ بعتاب في قسمات وجه النبي –صلى الله عليه وسلم–، اللي أصلًا الأعمى ابن أم مكتوم –رضي الله عنه– الصحابي الجليل وهو أعمى لم يرى ذلك دي فيها عتاب.

يبقى مجرد تغيير وجه الداعية، ممكن الداعية يتسأل عنه، انت عملت كده ليه؟ يعني انت لما قابلت فلان لم تَهُشَّ له وتَبُشَّ؟ فالنبي –صلى الله عليه وسلم– في البخاري لما كان يأتيه الأقوام، يقول: "مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى"[1]. يقوم النبي –صلى الله عليه وسلم– ويبشرهم: "وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ" الأنعام:٥٤، تبشرهم وتهون عليهم الأمور.

فدي البداية؛ العتاب في قسمات وجه النبي –صلى الله عليه وسلم–.

"عَبَسَ وَتَوَلَّى"

تَوَلَّى: مش بس الإعراض، مش بس سابه والتفت لعظماء قريش؛ لأ، ده تولى؛ أي: ذهب إلى ما هو أولى. ودي نقطة مهمة جدًا: ترتيب أولويات الداعية مش كما يرى الداعية، ولا بمتغيرات الواقع؛ فيه معطيات شرعية وفيه معايير ربنا –سبحانه وتعالى– وضعها لازم الإنسان يسير عليها.

فربنا بيقول: "عَبَسَ وَتَوَلَّى" أي: اتجه إلى ما هو أولى في حسبانه، أنا لما أتولى شيء يعني باسيب حاجة مش بس باسيبها زهدًا فيها، أنا باسيبها لأن أن أرى إن فيه حاجة أولى منها.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– في هذه اللحظة رأى أن الأولى أن يتجه إلى دعوة عظماء قريش، وأن يترك الصحابي المقبل.

[1] صحيح البخاري



فربنا هنا –سبحانه وتعالى– عمل له موازنة: دول عملوا إيه، وده عمل إيه؟ ده كان جاي صفته عاملة إزاي؟ وهم صفتهم عاملة إزاي؟ بحيث إن الإنسان يعرف يرتب الأولويات لو عنده مجهود يبذله هنا ومجهود يبذله هنا، مش بمزاج الداعية، يعني أنا مثلًا فيه مدعو طالب مني حاجة ومدعو تاني طالب مني حاجة، هنا بيتعارض، عند التعارض لازم تقدم الأولى، إنك تقدم فلان أو فلان مش بالمصالح الشخصية ولا الحزبية ولا الفئوية ولا المادية ولا الاجتماعية. مش معنى إن فلان أرقى اجتماعيًا أو فلان أغنى أو فلان أقرب لي أو فلان بيسمع كلامي أو فلان منتمي لجماعتي، لا، مش دي المعايير التي بنقيّم على أساسها، مش دي المعايير التي بتخلي الإنسان يختار إيه هو الأولى، أو ده من قبيلتي أو ده من أسرتي أو ده هيفيدني بعد كده، فيه معايير ثابتة ربنا –سبحانه وتعالى– وضعها ومبثوثة في القرآن والسنة. فهنا "عَبَسَ وَتَوَلَّى".

هل مجرد العتاب؛ مجرد إن رجل صحابي كان أعمى وزعل من الموقف فربنا نزل العتاب؟ ما الداعية ممكن يخطئ أخطاء كثيرة غصبًا عنه؛ لأنه بشَر يتحرك بين الناس، غصبًا عنه ممكن يغلط، هل مجرد هذا العتاب وهذه السورة اللي تتسمى باسم الموقف –تغير في قسمات الوجه: السورة اسمها سورة عبس– سورة كاملة بالرغم أن لها أغراض أخرى وقضايا دعوية أخرى وخاتمة أخرى، هل السورة العظيمة دي، وتسمية سورة وربنا –سبحانه وتعالى– ينزلها في القرآن ويحفظها إلى يوم القيامة، هل مجرد عشان شخص زعل؟ لا.. أبدًا! ده أخطر من ذلك.

ضبط المعايير عند الداعية

النبي –صلى الله عليه وسلم– ربنا –سبحانه وتعالى– عصمه في تبليغ الرسالة، وقال الله –عز وجل–: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ" الحج:٥٢، أمنيات الأنبياء هي إيه؟ أن يستجيب الناس كلهم إلى دعوتهم. هذه الأمنية –إن الناس تُسلم– الشيطان ممكن يستغلها.

مثلًا أنا كداعية أو أي شخص كداعية عايز الناس تُسلم، فيجيله الشيطان يستغل هذا الحرص على إسلام الناس، فيقول له إيه: بلاش الكلام ده انت متشدد، انت ممكن تركن للظالمين، انت ممكن تؤخر البيان ده، انت ممكن تغير في الدعوة، فممكن الشيطان يستغل هذه الأمنية، بالنسبة للأنبياء؛ فربنا قال: "فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ"، ربنا بيحفظ الأنبياء من ذلك، إن هم يغيروا أو يبدلوا.

لكن بالنسبة للدعاة؛ لأ الدعاة ماخدوش الوعد بكده، لذلك لا بد أن يكونوا على حذر من ذلك.

فهنا السورة هي قد تكون بالنسبة للدعاة –غير النبي –صلى الله عليه وسلم– بالنسبة للدعاة– دي بداية الانحراف عن مسار الدعوة؛ إنك تبدأ تُراضي البشر وتبدأ تضع معايير أرضية لتقييم المدعوين؛ ده غني، يبقى أنا هأقدمه على الفقير، ده ينتمي لجماعتي أنا هأقدمه على اللي مش منتمي لي، ده اجتماعيًا أعلى أنا هأقدمه على ده! يبدأ البشر يضعوا معايير أخرى في الدعوة غير اللي ربنا أرادها.

تبدأ الدعوة تنحرف؛ بدايات صغيرة، صغيرة، إلى أن تنحرف بعيدًا عن المسار اللي ربنا يريده، وإن ربنا –سبحانه وتعالى– وضع إن الداعية له هدف أساسي وهدف رئيسي وهو تزكية الناس؛ "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى"، "وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى"

أنت لك وظيفة أساسية؛ فالذي يأتيك يطلب هذه الوظيفة منك –وهي التزكية– لا تتردد معه، قد تتعارض بعض المجهودات عند الداعية والأعمال عند الداعية، يرتب هذه الأولويات بما يرضي الله –عز وجل–، طبعًا ده عايز استقراء من القرآن والسنة، لكن مش الترتيب الأوحد آه إن طالما غني يُقَدم على الفقير أو اللي تبعي يُقَدم على اللي مش تبعي، أبدًا.

هنا وضع الله معايير منها: المُقبِل يُقدَّم على المُعرِض –دي إحدى المعايير التي جت في السورة– اللي جاءك غير اللي مستغني، ربنا قال: "أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى"، "وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى"

يبقي لما يبقى عندي اتنين؛ واحد غني واجتماعيًا أعلى وتبعي وبيحبني وممكن يسمع و.. و ..، وأيًا كان فيه مواصفات حلوة بالنسبة لك انت كشخص، وشخص تاني فقير واجتماعيًا أقل ومش تبعك ولكن هو مُقبِل ويريد أن يتزكى، وده فمُعرِض، انت المفروض لما يحصل تعارض في المجهودات تُقدِّم هذا، لأن ربنا اللي قال هذا: "وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى" مش عايزين المعايير الرأسمالية المادية اللي انتشرت ونشرها الغرب في العالم تؤثر على معايير الدعاة، الدعاة عندهم معايير ربانية، ودي أهم نقطة في السورة: ((ضبط المعايير عند الداعية)) ألا يتأثروا بالمعايير الأرضية –معايير المادة– لكن لهم معايير ربانية وضعها الله –عز وجل–.

والإنسان هيُسأل، الداعية هيُسأل لماذا قدمت هذا على هذا؟!

ربنا سألَ سيدنا عيسى: "أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ" المائدة:١١٦؛ السؤال هيتسأله كل داعية، أأنت قلت للناس هذا الكلام؟ ما الدافع من وراء هذا الكلام؟ ماذا تريد من هذا الكلام؟ ما الغرض من هذا الكلام؟ لماذا فضلت فلان على فلان؟ سيُسأل الداعية حتى عن قسمات الوجه، جاء العتاب هنا باسم "عَبَسَ"، حتى عن قسمات وجهه، ليه هششت وبششت لهذا الظالم وأنت تعلم أنه ظالم؟ لماذا هششت وبششت له؟ هل لك غرض شرعي؟ هل لك حجة شرعية تقولها أمام الله –عز وجل–؟ كل هذا سيُسأل عنه الداعية.. نسأل الله أن يحفظنا جميعًا وأن يسددنا وأن يوفقنا.

إزالة الحرج من صدر الداعية

"عَبَسَ وَتَوَلَّى" السير وتتبُّع الحدث ده من السِيَر يطول، لكن احنا عايزين نمشي مع القرآن. القرآن جاب كلمة "أَنْ"؛ "أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى" امتى النبي –صلى الله عليه وسلم– عَبَسَ وَتَوَلَّى؟ امتى النبي –صلى الله عليه وسلم– تغيرت قسمات وجهه الشريف –صلى الله عليه وسلم– واتجه إلى ما هو أولى؟ القرآن بيقول إيه؟ "أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى"

أَنْ هنا لها معنى من اتنين:

١– إما لأن جاءه الأعمى: تعليلية

٢– أو (أن): بمجرد أن جاءه الأعمى

زي: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى" العلق٦:٧؛ إما لأنه رأى نفسه استغنى، أو بمجرد أن رأى نفسه استغنى، والاتنين تمشي.

يبقى التغيُّر عند النبي –صلى الله عليه وسلم– حصل بمجيء الأعمى، يبقى نتخيل المشهد: النبي –صلى الله عليه وسلم– بيدعو العظماء والكبراء من قريش، أول لما جه – الروايات بتقول أنه قعد يشد في إيد النبي –صلى الله عليه وسلم–، أو قعد يشغله عن دعوة الآخرين، إنما القرآن بيقول بمجرد المجيء حصل التغير داخل نفس النبي –صلى الله عليه وسلم–، وظهر ذلك على وجهه –صلى الله عليه وسلم–.

يبقى مجرد مجيء الأعمى؛ آه يبقى هنا الداعية ممكن يكون في صدره حرج من وجود بعض الفقراء معاه، وشايف إن وجود بعض الفقراء قد يُنفِّر وجود الأغنياء. لا؛ التقسيمة دي مفروض ماتبقاش عند الدعاة. بل هذا الحرج اللي بداخل صدور بعض الدعاة – أنه يتحرج أن يكون في المدعوين بعض الفقراء وأن ده قد ينفر الأغنياء؛ هذا الحرج ماينفعش يبقى في صدر الداعية.

يبقى الداعية مطالَب إن ياخد باله مما يحدث في داخل صدره، مما يحدث في داخل نفسه، إن هو متضايق من فلان، حاسس بحرج من وجود فلان، ليه؟ انت حاسس بالحرج ده لماذا؟ لأمور ومعايير شرعية يرضاها الله –عز وجل–؟

فالقرآن هنا قال بمجرد مجيء الأعمى، لسه ماحصلش انشغال، أو السبب هو مجيء، ماقالش أن الأعمى شغله، تعبير القرآن قال: "أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى".

وقال الأعمى، ماقالش ليه ابن أم مكتوم؟ ويُعرَف من السيرة أنه أعمى، يبقى لأن السبب أن هو أعمى.

يبقى مجيء واحد فقير أعمى ده خلى النبي -صلى الله عليه وسلم- إن هو يعبس في وجهه ويتولى ويعرض عنه إلى هؤلاء، ويشعر بحرج في صدره أن يظن الأغنياء أن هؤلاء هم أتباع الأنبياء. وهذا حق، هيظل هؤلاء هم أتباع الأنبياء، وهرقل كان عارف كده لما سأل: الأتباع الأكثر، الأغنياء أم الفقراء؟ لما أبو سفيان قال له: الفقراء، قال هرقل: وكذلك أتباع الأنبياء.

إذًا "فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ" الأعراف:٢؛ ما ينفعش الداعية يشعر بحرج من السنن الكونية والسنن التشريعية،ماينفعش وجود الحرج في الصدر، أول لما تحس بحرج في صدرك من شيء من الدين اعرف إن قصاده هتترك شيء، "فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ" هود:١٢

أول لما صدرك يضيق بشيء اعرف أنك مش هتعرف تقوله كويس، لو صدرك عنده ضيق مش قادر تتكلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هتلاقيك مابتأمرش بالمعروف وتنهى عن المنكر كويس، لما تجد في صدرك ضيق وحرج من الولاء والبراء هتلاقيك مش عارف تطبق الولاء والبراء كويس، كذلك من الجهاد، كذلك من الإيمان والكفر والفسق والنفاق، من هذه المعلومات العقدية اللي تُصدر للناس وتُبين للناس، لما تجد في صدرك حرج من الغيب، من الأحاديث والآيات القرآنية التي تحدثت عن الغيب، عندما تجد في صدرك حرج من هذه الأشياء لن تستطيع أن تبلغها كما يريدها الله -عز وجل-.

تلاقي مثلًا اللي في صدره حرج من جهاد الطلب يقعد يقول أصل الإسلام انتشر دفاعًا عن النفس وهو مااستعملش سيف! ويقعد يجيب كل أحداث السيرة والتاريخ ويبررها، ليه؟ لأن في صدره حرج من ذلك. فلا ينبغي أن يكون في صدر الداعية أي حرج من أي تشريع وضعه الله -عز وجل-، أو من أي سُنَّة سنَّها الله -عز وجل-.

يبقى إذًا عشان مانتهوش من الكلام السورة بدأت بملمح من قسمات وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- في موقف أثناء الدعوة، وكأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لو احنا اعتبرنا أن ترتيب السور: النبأ والنازعات دي أوامر لإلقاء النبأ على المجتمع، ودعوة الناس عن يوم القيامة، وبالفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- نَزَلَ بهذه الأشياء وتكلم، وكان حريص على إيمان الزعماء، بنقول أن اللي حدث ده مش مجرد تخليد لموقف بسيط -أن شخصًا زعل فالموضوع مراضية له، وإن كان ده يعتبر جبر الخواطر أمر معتبر في الشرع- لكن الموضوع أكبر من ذلك، احنا بنقول أن الموضوع قد يؤدي إلى انحراف في الدعوات، ودائمًا كان القرآن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- بيبدأ يلحق الموضوع من الأول خالص لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما أخبرنا هو معصوم من ذلك، لكن الدعاة لا بد أن يكونوا على حذر من هذه الأشياء.

فنؤكد ثانية هذه القاعدة: لا ينبغي أن يكون في صدر الداعية أي حرج من أي سنة شرعية وضعها الله -عز وجل- وبينها في القرآن أو في السنة النبوية.

ثم يقول الله -عز وجل-: "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى" الكلمة دي مهمة أوي بالنسبة للداعية، ليه؟

أحيانًا الداعية لا يتوقع الخير اللي جوه الإنسان، فمثلًا أنا لي تقييم، فييجي واحد بادئ يلتزم ومدعو، فأنا أقول لا لا، فلان ده تلاقيه مش هيعرف يعمل حاجة، أو ده فقير ومستواه التعليمي بسيط فبلاش تضيع وقتك معاه، هذه المعايير في التقييم بتبقى.





أنا عارف إن واحد تاني هيقولي لأ، ما أحيانًا بيتعارض وأنت بتُقَدِّم.. أنا مش باتكلم عن التعارضات، أنا باتكلم على إعطاء هذا التقييم ابتداءً، أنك تقول: لا، أنا مش هادي لده وقت، أنا هادي لده! ويبقى الموضوع له اعتبارات أخرى، لكن ربنا بيقول لك "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى" أنت ايش عرفك الخير اللي جواه، ايش عرفك إن الأعمى ده ممكن يفيد الدين قد إيه؟! أحيانًا أنت لا تتخيل!

كل إنسان بداخله إيمان أنت لا تتخيله، وأيضًا بداخله فجور أنت لا تتخيله! "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا" وفي الآخر أصبح كالكلب يلهث، وقاتل المائة؛ اللي كان يشوفه وهو بيقتل يقول ده لا يمكن يبقى جواه خير أبدًا، الله –عز وجل– أنزل له ملائكة وحرك له الأرض، ربنا حرك الأرض عشان شخص.. وشخص قاتل! انت لو شفته في الأول تقول لا يمكن أبذل وقت مع ده، تقول لا يمكن ده مفيش فيه فايدة، وقتل آخر ما قتل؛ قتل راهب؛ وقتل واحد عامل لدين الله! لا يمكن أبدًا يكون فيه أمل،

"وَمَا يُدْرِيكَ"! انت ليك وظيفة، إنه قد يتزكى، انت عليك أن تطرح آيات القرآن وتبين انت له آيات القرآن، وما يدريك ماذا ستفعل هذه الآيات في هذه النفس البشرية، هذه الآيات القرآنية التي قد تؤثر –بل بالفعل تؤثر– في الحجر، ولو نزلت على جبل لدكته و"لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ"! وما يدريك ما تأثير هذه الآيات في هذا الشخص! هذا الشخص قد يتغير.. قد ينقلب.. قد يفيد الدين بأشياء أنت لا تتخيلها.

دور الداعية هو أن يُعَرِّض الناس لآيات القرآن

في الأثر المشهور –وإن كان فيه ضعف سندًا، لكن تناولته السِيَر– عن نعيم بن مسعود عندما قال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: "خَذِّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ" أنت وما يدريك ماذا سيفعل في الأحزاب؟ وأن كان ربنا يجعله سببًا في حل أزمة رهيبة في غزوة الأحزاب.. أنت وما يدريك اللي قدامك ممكن يعمل إيه؟!

فالكلمة بتعرف الداعية إنه لا يعتمد على تقييمه، وإنه ماياخدش التقييم الابتدائي اللي بيشوفه من الأول، أول ما بيتعرض لشخص غصبًا عن الإنسان بيعمل تقييم ابتدائي للشخص، وممكن غصبًا عنه كمان يبدأ يصنفه، ودي من الأخطاء اللي للأسف وقعنا فيها وأدت إلى التحزبات والتفرقات.

أنت ما يدريك إيه اللي هيحصل جواه لما يتعرض لآيات القرآن؟ انت دورك تعريض الناس لآيات القرآن "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" آل عمران:١٦٤، ده دورك.

انت وما يدريك إيه اللي هيحصل منه؟ ليه تقول لأ؟ ده ربنا بيقول عن الكافر: "فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ" التوبة:٦؛ حتى يتعرض لهذا النور، ثم وما يدريك ماذا سيحدث بعد هذا؟ فربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– "وَمَا يُدْرِيكَ".

طيب إيه اللي هيحصله لما يتعرض لآيات القرآن؟ حاجة من اتنين:

١– "لَعَلَّهُ يَزَّكَّى"

٢– "أَوْ يَذَّكَّرُ"

المرحلة الأعلى ودي اللي بدأ بها –وهي التي كان ابن أم مكتوم أهل لها رضي الله عنه– إنه يتزكى؛ التزكي ده عبارة بعد ما أن تفاعل مع آيات القرآن تفاعل حقيقي وتطهرت النفس ونمت النفس، فالتزكي فيه نماء وطهارة –الزكاة فيها معنيين وكنا ذكرنا ده في سورة النازعات–.

الزكاة فيها معنيين؛ النماء والطهارة وده أعلى حاجة تحصل لما الإنسان يتعرض للقرآن. ودي نفس الكلمة اللي جت لما ربنا برضه قال لسيدنا موسى: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى" النازعات١٧:١٨. فإذا كان ربنا بيقول لسيدنا موسى روح قول لفرعون: "هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى" انت وما يدريك إن ابن أم مكتوم هو هيتزكى وهو مسلم أصلًا يزداد في التزكي؟! فهنا ربنا بيقول: "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى".

طيب افرض مش هيتزكى؟ يعني إيه مش هيتزكى؟ افرض إيمانه مش هيزيد؟ طيب أنا أكلم واحد ليه وفيه احتمال إيمانه مايزيدش؟ الاحتمال الثاني: إنه يتذكر.

إيه الفرق بين التزكي والتذكر؟

- التذكر: المعلومة في الذهن لسه ماغيرتش في القلب، لكن هي لسه معلومة جواه، المعلومة دي بتفضل في عقله ممكن تنفعه قدام في يوم من الأيام، عشان كده ربنا قال: "أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى". يعني ممكن تنفعه في المستقبل.

يعني مثلًا: انت كلمت واحد عن الأثر الدنيوي للدين وعن الدار الآخرة وعن موت الفجأة وعن حسن الخاتمة وعن سوء الخاتمة، كلامك ماتوغلش إلى القلب، ماخلاهوش وهو قاعد قدامك ياخد قرار الآن بترك المعاصي والالتزام، لا، المعلومات لسه ماتوغلتش في القلب ما وصلناش لمرحلة التزكي، المعلومة في مرحلة التذكر لسه، يقوم الشخص ده ياخد المعلومة ويمشي وما يتغيرش، فانت معتقد أنا ضيعت وقت معاه، الولد ده مفيش منه أمل، أنا كلمته كتير، المعلومة دي لسه جواه، يقوم يموت له واحد صاحبه، والده يمرض، يخسر فلوس، يحصل موقف يتذكر هذه المعلومات فيتزكى، فيأتي القدر بتقدير من الله –عز وجل– للوقت اللي يحدث فيه التزكي.

فكلمات الداعية هي عبارة عن طرقات على جدار الغفلة، لا تتعجل، يعني لما تيجي تضرب على جدار الغفلة لواحد ومايتكسرش اعلم إن بإذن الله هذه الطرقة على الأقل هزت الجدار، خلت الجدار هش. عشان الخبطة اللي بعدها اللي ممكن ماتجيش منك، ممكن تيجي من الأقدار، ممكن تيجي من داعية تاني، ممكن تيجي من موقف إن الدنيا تمطر في وقت عجيب، إن هو يتوه ويدعي ربنا مثلًا، إنه يحص له موقف عجيب. فأنت لا تدري ماذا سيحدث من كلماتك! فالداعية لا ييأس أبدًا مما يلقيه من كلمات.

- "وَمَا يُدْرِيكَ": التزكي دي المرحلة الأعلى، والمرحلة الأقل: "أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى"

بعض العلماء كان فرق ما بين (يذَّكَّر، يتذَكّر)، يتذكَّر: المعلومات التفصيلية يعني واحد مركز.

أما يذّكّر: معلومات مجملة، يعني كمان حتى لو هياخد كلامك مجمل مش مشكلة.

"أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى" أي فتنفعه في المستقبل هذه الذكرى.

يبقى دور الداعية أن يُعرِّض الناس لآيات القرآن، "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا" وبعد تلاوة الآيات تحدث التزكية، وبعد التزكية يحدث التعليم، "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" الجمعة:٢

دي المراحل؛ تلاوة الآيات تؤدي إلى تزكية تؤدي إلى دخول العلم لقلب طاهر فعندئذ ينفع العلم.

فربنا بيقوله: "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى"، أو لو مش هيحصل التزكي هيحدث التذكُّر "أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى".

يبقى احنا بنقول أحيانًا تقييم الداعية بيطلع خطأ، ويُقيم إن الشخص ده مش هيبقى فيه منه أمل، لكن ربنا بيقول لك: "وَمَا يُدْرِيكَ" قاعدة مهمة جدًا عند الدعاة يقال لهم: "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى".

وكان المشهور أيضًا في السير إن كان الصحابة لما يمروا على عمر بن الخطاب في الجاهلية يقولون: "لو أسلم حمار ابن الخطاب ما أسلم عمر" وأسلم عمر –رضي الله عنه–، وكان تاني واحد في الأمة بعد سيدنا أبو بكر، بعد النبي –صلى الله عليه وسلم–.

التعامل مع المستغني

فربنا بيقوله: "أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى" التناي ده انت بتختاره على أساس إيه؟ ده واحد استغنى! وده أكثر صفة تخلي الإنسان مايستفيدش من كلامك؛ المستغني! لذلك من أهم طرقات القرآن على القلب الغافل أنه يبين أماكن الضعف عند النفس البشرية؛ يجيب مثلًا الإنسان ويحطه في نص البحر ويقول له انت هنا ضعيف، يُذكِّر الإنسان بلحظة الوفاة ويقول له انت هنا ضعيف، يُذكِّر الإنسان "وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى" الأنعام:٩٤، ويقول له: أنت هنا ضعيف، يُذكِّر الإنسان وهو على فراش المرض، ويقول له: أنت ضعيف. فالقرآن يُذكِّر الإنسان بلحظات الضعف حتى يحتاج إلى الله "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" فاطر:١٥، أنت محتاج لربنا!

طيب اللي مستغني يقول: أنا مش محتاج الدين! انت هتقعد تكلمني عن الدين هيعملي إيه في الدنيا أو يوم القيامة، أنا مش محتاج فالمستغني ده لن ينفعه ما تقول له من كلام.

"أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى" فربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم–: أنت رايح للمستغني الذي ظن نفسه غنيًا، أو ظن أن ما معه سينفعه، "أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى *فَأَنْتَ" المفروض الأولى بيك انك تروح للتاني "فَأَنْتَ لَهُ" كلمة "لَهُ" كأنك مفرغ نفسك عشانه، طيب انت مفرغ نفسك عشان ده ليه؟

"فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى" قيل الصدى:

- إما جاي من كلمة العطش يعني تفضل تبذل مجهود معاه كأنك واقف لما تعطش أو تتكلم معاه لما تعطش.
- أو من الجبل، أنت تقف له كالجبل!

يعني انت هتفني عمرك وهتتعب وهتعطش وهتقف كل ده عشان شخص مستغني! لا، مش دي المعايير التي ربنا يريدها. ده شخص استغنى، فأنت بتديه على قدر استغنائه، لكن لما يتعارض المستغني مع المقبل لا بد أن تختار المقبل، وده معيار شرعي ذكرته السورة بوضوح.

عشان محدش ييجي يقول أصل لو المستغني تبعي وده مش تبعي، اختار اللي تبعي، أبدًا، دي معايير شرعية هُسأل عنها يوم القيامة.

الدعاة علمهم الله –عز وجل– من فضله "لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا" البقرة:٣٢، هم مش أحرار يعلموا مين، هم مش أحرار يضحكوا في وش مين ويكشروا في وش مين، الداعية سيسأل زي ما قولنا!

ربنا قال: "أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ"، الداعية سيُسأل عن كلامه، عن خطواته، عن حركاته، سيُسأل عن هذا. فلا بد أن يكون له إجابة لماذا فعل هذا ولماذا لم يفعل هذا!

فربنا بيقول له: "فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى" ظننا في غالب الدعاة اللي بيعمل كده مش الحرص على المال، طبعًا النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا الحرص على إيمان هؤلاء، وألا يُخلد هؤلاء في جهنم.

طيب بعض الدعاة اللي ممكن يُفضل الغني المعرض عن الفقير المقبل، بعض الناس يقول لك إيه؟ يبقى نطلع بقاعدة هنا إن الفقير دايمًا مقدم عن الغني، القضية هنا مش قضية غني وفقير، القضية هنا قضية إقبال وإعراض. بعض المفسرين قال: "اسْتَغْنَى" أي بالمال. لأ، القضية هنا مش إن القرآن دايمًا بيقولك لا بد أن تفضل الفقير على الغني. طيب افرض غني مُقبِل وفقير مُعرِض، أنا اختار المقبل، عند التعارض انت بتختار المقبل.

ربنا هنا قال: "اسْتَغْنَى" جاب عكسها ماقالش فقير، السورة بتقول إيه: "أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى"، ما قالش وأما الفقير، قال: "وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى"، يبقى "جَاءَكَ" دي عكس "اسْتَغْنَى" يبقى استغنى ده اداني ظهره ومشى.

"فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ" الكهف:٦؛ "عَلَى آثَارِهِمْ" هم مش موجودين؛ هم مشيوا خلاص هم مش عايزين يسمعوا هتتعب نفسك علشانهم ليه؟ اهتم بالمقبل باللي طالب حتى لو انت معتقد –ده طبعا بالنسبة للداعية مش بالنسبة للنبي –صلى الله عليه وسلم– طيب ده هيعملي إيه؟!

المُعرِض الغني ده لو التزم أو لو أسلم ده ممكن يفتح ويصرف فلوس، إنما الفقير اللي جاي ده هيعمل إيه؟ فربنا بيقول لك: "وَمَا يُدْرِيكَ".

ليس عليك هداهم

فربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى" ظننا في غالب الدعاة –إن شاء الله– أن هو غرضه نشر الدين، وإن بيبقى قلبه محروق إن ده ما يُسلمش أو قلبه محروق إن ده مايلتزمش، فربنا بيشيل الحرج ده، لأن أحيانًا الإنسان يُكَلَّف بما لا يُطيق، أمر شديد عليه، فربنا بيقول له: "وَمَا عَلَيْكَ" أنت مش هتتحاسب على ده، "وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى" الكلمة دي ممكن بالنسبة للداعية تعمله توازن نفسي رهيب.

أحد الأدعية اللي بيدعيها المؤمنون: "رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ" البقرة:٢٨٦، فأحيانًا الداعية يُحمِّل نفسه ما لا طاقة له به، يُحمِّل نفسه أنه ملزم إن الشباب كله يلتزم، يُحمِّل نفسه أن كل الناس دي لازم تخش في دين ربنا، فيبقى متوتر نفسيًا يضطر إنه يتخلَّى عن أشياء من الثوابت، ويضطر إنه يبدل ويغير! طيب انت أصلًا ربنا مأمركش بكده، ليه تُحَمِّل نفسك ما لا تطيق؟!

فالكلمة دي تعمل توازن، ربنا بيقول لك أنا مافرضتش عليك كده، "وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى"، أمال أعمل إيه يا رب؟ "وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى" هو ده اللي تلتفت ليه، "وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ" هو اللي جاي برجليه، وبعديم مش جاي بس، ده جاي "يَسْعَى" ده جاي باذل مجهود، كيف تفضل من استغنى على من جاءك يسعى؟! شوف المعايير الربانية اللي بتوضح الأمور مش قضية غنى وفقر!

"وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى –جميلة أوى كلمة– وَهُوَ يَخْشَى"، قيل: يخشى الله، وقيل: يخشى أن تُعرِض عنه. لو أخدنا قول أنه: يخشى الله، طيب إزاي وهو جاي للنبي –صلى الله عليه وسلم– ويخشى الله؟

دي عاملة بالظبط زي قول الله –عز وجل– وشوف ده فقه الصحابة، إنه كان بيرتبط بالنبي –صلى الله عليه وسلم– لكن قلبه معلق بالله، ربنا بيقول إيه: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي"، وتشتكي إليك؟ "وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ" المجادلة:١، يعني هي بتكلم النبي –صلى الله عليه وسلم– لكن الشكوى في الحقيقة إلى الله، فقلبها متعلق بالله، مش حتى بالرسول –صلى الله عليه وسلم– "تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا –كان المتوقع وتشتكي إليك والله يسمع لكن ربنا بيقول إيه– وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ".

برضه ده جاي للنبي –صلى الله عليه وسلم– لكن عارف إن الهداية بيد الله –عز وجل–، وعارف إن ربنا قال للنبي –صلى الله عليه وسلم– "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ" القصص:٥٦، هو جاي وعارف إن الهداية بيد الله، وهو مأمور أن يذهب للنبي –صلى الله عليه وسلم–، وعمل اللي ربنا قالع عليه. وده لازم يبقى في شعور أي مدعو أو أي شخص طالب الهداية، أو رايح لعالم أو رايح لداعية أو رايح لشخص يعلم أن عنده خير، مايبقاش قلبه متعلق بيه أبدًا! لازم يعرف وهو رايح للعالم: "يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ –حتى العالِم– إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ"[٢]، لازم يعرف إن قلبه يتعلق بالله مش بالشخص، واللي هيروح لعالم أو لداعية وقلبه يتعلق بيه؛ قد يُحرَم بسبب ذلك، إن قلبه مش متعلق بالله –سبحانه وتعالى–، لا بد أن تتعلق القلوب بالله –سبحانه وتعالى–.

---

[٢] صحيح الجامع



"وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ"

أنت! أي الفعل ده ما كان ينبغي أن يصدر منك أنت! "فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى" أو معناها فأنت عنه تلهى؛ أي إذا تلهيت أنت عنه فمن سيكون له! لو الدعاة انشغلوا عن المقبلين بالمعرضين؛ من سيُعلِّم المقبلين؟! من سيعلمهم أمر دينهم؟ من؟ من سيزكيهم؟ من سيتلو عليهم الآيات؟ من يعلمهم الكتاب والحكمة؟ إذا انشغل الدعاة عن المقبلين وانشغلوا بالمعرضين.

ربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ" الأنعام:٣٥، هؤلاء عمالين يطلبوا آيات وآيات وآيات! لو انت انشغلت بنفق الأرض و سلم السماء، لو الدعاة قعدوا ينشغلوا ويعملوا حركات عشان المعرضين وسابوا المقبلين! مَن سيُعلِّم المقبلين؟!

"فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى": (عن): بيسموه حرف التجاوز، يعني أنت بعيد عنه وسايبه ليه؟!

معايير ظبط الأولويات

و الكلمة العجيبة أوي في السورة، اللي المفسرين وقفوا قدامها بحرج وهم بيفسروها، كلمة: "تَلَهَّى" تخيل! الله –عز وجل– يقول للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى" يعني كأن الداعية لو فعل حاجة ليس من الأولويات وترك الأولى له في الدعوة؛ يُخاطَب بلفظ "تَلَهَّى" وكأن الانشغال بالمُعرِض وترك المُقبِل ربنا سماه (تلهي)، فليحذر الداعية وليحذر طالب العلم.

أحيانًا طالب العلم ينشغل إنه يتعلم أشياء الواقع مش محتاجها، والواقع محتاج أشياء معينة إنه يتعلمها، ده نوع من أنواع التلهي؛ الداعية ينشغل بأمور ليست في واقعه، ده نوع من أنواع التلهي، لا بد أن يحذر الداعية، وأن يحذر العامل لدين الله، وأن يحذر المنفق اللي عايز يصرف الفلوس، مش القضية إنك تصرف الفلوس وخلاص، لازم تعرف الفلوس دي بتتصرف في المكان الصح والا لأ، "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ" التوبة:١٩، أنك تعمل أعمال صالحة في وقت الدين محتاج أعمال أخرى ده (تلهي). يبقى إذًا القضية مش أنك بتعمل أي خير وخلاص، لا؛ فيه معايير لضبط أولوياتك، فقد يسمى فعلك لنصرة الدين في وقت من الأوقات –إذا أعرضت عما هو أولى– قد يُسمى تلهي "فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى".

وفيه نقطة هنا قد تكون صعبة بس أنا هأقولها على عجالة،

صدٌ عن سبيل الله

وفيه نقطة هنا قد تكون صعبة بس أنا هأقولها على عجالة، فعل "تَلَهَّى" ده بعض العلماء قال ده فعل بيسموه من أفعال المطاوعة. أفعال المطاوعة ده إن الفعل ده بالرغم إن الفاعل هو اللي عمل الفعل لكن الفعل ده ماحصلش لوحده، ده فيه فاعل آخر هو اللي خلى الفعل ده يحدث، فبنسمى إن الفاعل ده طاوع الفاعل الأول!

يعني إيه الكلام ده عشان أفهم؟ يعني لما ييجي ابنك الصغير يقولك الحق يابابا الكوباية انكسرت، انكسر (انفعل) ده صيغة من صيغ أفعال المطاوعة.. فانت هتقول له: مين اللي كسرها؟ الكوباية ما انكسرتش لوحدها! ده أكيد الكوباية طاوعت فاعل آخر، بالرغم إن (انكسر الكوب) الكوب ده فاعل، إعرابه لغةً الكوب ده فاعل، لكن احنا بنقول الفعل ده فعل مطاوعة، يعني إيه فعل مطاوعة؟ يعني فيه فاعل آخر هو اللي خلى الفعل ده يحصل.

فبنقول انكسر الكوب بالرغم إن الكوب فاعل، لكن مين الفاعل الحقيقي؟ قول الحقيقة، مين اللي كسر الكوباية؟

فكذلك دي أفعال المطاوعة، إن الفعل ده ماحصلش لوحده.

زي: "إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا" الشمس:١٢، وشرحنا ده هتلاقوه إن شاء الله في خطبة لسورة الشمس، "انْبَعَثَ أَشْقَاهَا" هو ماقامش لوحده، هم اللي قعدوا يسخنوه عشان يقوم يقتل الناقة، فهو اتحرك.

فكلمة "تَلَهَّى" معناها إن أهل الباطل يحاولون أن يقوموا بإلهاء العاملين لدين الله، يعني مش النبي –صلى الله عليه وسلم– هو اللي كان عمل كده من نفسه، لأ، ده هم كانوا قاصدين يشغلوه عن الفقراء، هم قاصدين يشغلوه عن المقبلين، هم قاصدين يشغلوا الداعية، ودائمًا يعملوا كده، إن أهل الباطل يحاولوا يقوموا باصطناع أشياء وأفعال تلهي الداعية.

الداعية مثلًا يبقى بيخوض معركة معينة بين الحق والباطل، يقوموا يجيبوله شبهات يخليه يتشغل بها، زي ما احنا شايفين دلوقتي شبهات عذاب القبر، والبخاري، وحاجات قُتلت بحثًا وأترد عليها، انت ماشي في قضية؛ يشغلك عنها، ده نوع من أنواع التلهي، أو يخترع لك قضية يشغلك بيها، أو يلقي عليك تهم، ويتهمك في عرضك ويتهمك بأشياء معينة، هو كل ده عايز يلهيك. هم عارفين إن حتى هؤلاء الفقراء لو تُرِكوا وتعرضوا لكتاب الله –عز وجل– هتتغير أحوالهم، لكن هم عايزين يلهوك عن ده. يعني هل كانت مشكلة أغنياء قريش؛ وجود الفقراء؟ هي دي كانت المشكلة الوحيدة في إسلامهم؟! يعني لو الفقراء كانوا مشيوا كانوا هيسلموا؟ فعلًا هي دي؟ لكن لا، مش دي المشكلة، ده هو عايزين يلهوا الداعية عن دعوته "فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى".

وظيفة الداعية

فربنا بيقول له: "كَلَّا" هذه الكلمة الشديدة تقال للداعية اللي بيقدم أشياءً ليست هي من الأولويات؟ نعم؛ الداعية لا بد أن يكون على حذر في خطواته، وفي كلماته، وأن يزن أفعاله بميزانٍ شرعي.

"كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ" أي إن الوظيفة تذكرة، أو إن الدعوة تذكرة، أو أن القرآن تذكرة –أيًا كان– إن دورك أنت مذكر؛ أنت مش مسؤول عن ده أو عن ده، "وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى"، انت وظيفتك حتى لا تنساها في مشاغل الحياة: "إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ".

طيب هذه التكرة وهذه الآيات موجودة فين؟

"فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ *كِرَامٍ بَرَرَةٍ"

هنا ربنا وصف الصحف بثلاث صفات، ووصف حاملي الصحف بثلاث صفات.

وصف الصحف بأنها مكرمة ومرفوعة ومطهرة.

ووصف حاملي الصحف بأنهم سفرة،كرام، بررة، وهذه الصحف بأيديهم.

الصحف دي قيل مع الملائكة، وممكن يبقى الوحي اللي مع الملائكة، أو الصحف التي في أيدي الملائكة اللي بيكتبوا فيها الأعمال، أو الصحف دي –على بعض الأقوال– القرآن (المصحف يعني) آيات الله –عز وجل– الموجودة بأيدي الصحابة.

فكلمة "سَفَرَةٍ، كِرَامٍ، بَرَرَةٍ" إما ليقصد بها الملائكة، أو يقصد بها الصحابة.

وكلمة الصحف إما يقصد بها الصحف اللي مع الملائكة سواء اللي فيها الوحي، أو فيها أعمال العباد، أو آيات كتاب الله –عز وجل–.

أيًا كان هذه الصحف –اللي هي "تَذْكِرَةٌ" اللي هي الوحي– ربنا بيقول: هذه الآيات مكتوبة في صحف، لو الآيات ابتداءً نزلت إن دي الملائكة، فكذلك يقاس عليها العاملين لدين الله –عز وجل–من أهل الأرض، فربنا وصف الصحف –اللي هي آيات القرآن– إنها مكرمة، فلازم تُكرَم ماتنزلهاش، يعني مايبقاش مثلًا فيه استخفاف بآيات القرآن، ما يحصلش مثلًا إنهم يعملوا حاجة فانت مضطر تقول القرآن بطريقة

معينة عشان تراضيهم، لأ، القرآن يظل مكرم! ماتخليش ضغطهم عليك يخليك تغير في طريقة عرضك للقرآن، لا بد أن تحافظ على مستوى التكريم الذي ارتضاه الله –عز وجل– لآياته.

"مَرْفُوعَةٍ" هم مارضوش يطلعوا؛ ماتنزلش، ماتنزلش انت الآيات، ماتحقرش انت من الآيات، ماتغيرش انت في الآيات، "مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ" التلات أوصاف تحس إن فيها رفعة، هو اللي مارضاش يطلع، مش معنى ماتنزلوش مش قصدي إنك انت ماتنزلش للناس؛ لكن لازم تنزل للناس لكن لا تُغيَر في الآيات، لا تبدل في الآيات، الآيات ستظل عزيزة، عشان كده ربنا بيقول: "فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ" اللي عايز ويقبل؛ ربنا مش هيمنعه، لكن لا بد أن يُقبل، هو اللي يجي؛ "وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ".

حاملي الصحف

"بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ" لازم الداعية يتحلى بهذه الأوصاف.

يعني إيه "سَفَرَةٍ"؟

(السفير) ده من معناه: الكشف، السُفرة: المكشوفة، وقيل إن التفسير جاية من كلمة (سَفْر) أيًا كان ده الكشف عن معاني الآيات. فالسفرة اللي بيكشفوا للناس عن معاني القرآن، واللي بيوضح للناس عن معاني الدين.

وخد بالك جت إن هي بأيديهم، (بأيديهم) يعني تمكُّن "فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي" والباء دي للملاصقة، إن على طول حاملين لكتاب الله، لا يدعون إلا بكتاب الله –عز وجل–، على طول هو حامل لكتاب الله يتحرك بكتاب الله –عز وجل– بين الناس، مش بيتحرك بكلامه، أهم حاجة بينشرها بين الناس كتاب الله –عز وجل–. "بِأَيْدِي سَفَرَةٍ" طيب هو معاه القرآن بيتحرك للناس بيعمل إيه؟ يبين للناس معاني الوحي؛ دي سفرة.

{كِرَامٍ} كريم مش ببخيل.، أو {كِرَامٍ} يعني لا يتدنس بأخلاق الناس، زي قول الله –عز وجل– كده: "وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا" الفرقان:٧٢، أي لا يتدنس، لو فيه أخلاق سيئة مابيتغيرش، مابيخليش أخلاق الناس تؤثر على أخلاقه، فمايقولش مثلًا الناس عاملتني وحش، أنا هاعاملهم وحش. هو مابيقوليش سلام عليكم، أنا مش هأقوله سلام عليكم!

لما والد سيدنا إبراهيم قال له: "لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" مريم:٤٦، وهو عمّال يقول له قبلها في سورة مريم أربع مرات: "يَا أَبَتِ"؛ وفي الآخر بيقول له هارميك بالطوب! سيدنا إبراهيم ماقالوش تصدق أنا غلطان، أنا عمّال أقولك يا أبتِ، وانت تقولي ترميني بالطوب؟ لا، ماقالوش كده، قال: "سَلَامٌ عَلَيْكَ" مريم:٤٧، ده الإنسان الكريم الذي لا يتأثر بأخلاق الناس، ولا يتدنس ويتأثر بأخلاقهم.

وده أحد معاني قول الله –عز وجل– في الداعية: "وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ" المدثر:٤، لازم دايمًا ثيابك وأخلاقك تظل طاهرة، وباطنك يظل طاهر، لا يتأثر أبدًا بأخلاق الناس.

"كِرَامٍ بَرَرَةٍ"؛ البررة: المتّسع في فعل الخير للناس. لذلك لما ربنا قال: "إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا" الإنسان:٥، قال بعملوا إيه من أفعالهم: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا" الإنسان:٨، فده متوسع في أعمال الخير، حتى للأسير الكافر؛ يطعمه.

فإذًا صفات الداعية:

١– أنه بأيديه القرآن، لا يتحرك إلا بالقرآن.

٢– يوضح ويفسِّر ويُسفر للناس عن معاني القرآن؛ سَفَرَةٍ.

٣– كِرَامٍ لا يتأثر بأخلاقهم، ويكون كريم معهم.

٤- بَرَرَةٍ يتوسع في فعل الخيرات؛ سواء في الطاعات، أو فعل الخير مع الناس.
دي صفات الداعية الذي يتحرك بين الناس، ثم بعد ذلك ما عليه ألا يزَّكَّى أحد!
خلاص؛ انت هنا عملت اللي عليك، لو انت قصرت في الأشياء دي تُحاسب عليها، لكن انت تحليت بهذه الأخلاق، وخليت الصحف بيديك، وبقيت من السفرة الكرام البررة -وقيل ده وصف للملائكة حاملي الوحي، وده كذلك يبقى وصف لحاملي الوحي في الدنيا، لا بد أن تتحلى بهذه الأخلاق. تحليت بهذه الأخلاق وانتشرت بين الناس؛ ما عليك ألا يزَّكَّى أحد.

زي أمنا خديجة ما قالت للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ماتخافش، "كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا"[٣]. طالما بتحافظ على الصفات دي، انت ماتخافش؛ استمر واثبت، ولو اجتمع عليك أهل الأرض "بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ".

الإعراض رغم التذكرة

ثم بعد كل الوصف ده، ربنا بيقول إن هيظل ناس معرضة مهما عملت، والله لو انت بقيت بأيديك الصحف وسفرة والكرام والبررة؛ هيظل فيه ناس معرضة! فربنا بيقول: "قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ"، فيه ناس -بالرغم من كل هذا- ستحافظ على الإعراض -والعياذ بالله-، ولن تقبل أن تتزكى. فربنا بيقول: "قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ"

"مَا أَكْفَرَهُ" فيها معنيين:

١- أي: ما أشد كفره، (ما) تعجب.

٢- (ما) استفهامية: ما الذي جعله يكفر؟! إيه اللي مخليه يكفر؟ زعلان من إيه؟ مش مقتنع بإيه؟

أو تعجب، أبعد كل هذا يكفُر؟! ما أشد كفره.

"قُتِلَ" قالوا بمعنى: لُعِنَ. وليه (قُتِل) مش (لُعِنَ)؟

بعض العلماء حاول يُفسِّر، فجَمَّع كلمة (قُتِلَ) في القرآن، لقاها جت في أربعة مواضع: في (الذاريات، والمدثر، وعبس، والبروج)، وحاول يجمع إيه المعنى المشترك، وقال (قُتِلَ) دي اللعنة الدائمة مش أي لعنة، أيًا كان ده جهد لبعض العلماء.

"قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" طيب المُعرِض ده "مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ"؟ مُعرِض على إيه؟ متكبِّر على إيه؟ بيُذكِّره بأصله: "مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ" ربنا هنا بيقول للإنسان جاب له القصة من الأول، انت معرض على إيه؟! انت إيه اللي مخليك معرض؟!

خدوا بالكم يا جماعة؛ تذكير ربنا -سبحانه وتعالى- بالنعم على الإنسان؛ كل سورة ليها وجهة بتركز عليها.

هنجد هنا التركيز على قدرة الله المطلقة على الإنسان، وأن الإنسان لا يخرج عن طوعه، إن الإنسان لا يخرج عن قدرة الله، يعني مدى قهر الله -عز وجل- للإنسان؛ ده بالنسبة للصفات الأولانية لغاية: "كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ". وبعد كده النعم التانية: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ"، ده نوع آخر من النعم.



[٣] صحيح البخاري



يبقى تذكير قدرة الله على الإنسان وأن الإنسان لا يستطيع أن يخرج خارج هذه القدرة، مهما أوتي من قوة لن يخرج خارج هذه القدرة، ونوع تاني من النعم من أول: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ".

النوع الثاني من النعم بيركز على حاجتين: على التنوع والكثرة.

– الكثرة: "أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا".

– التنوع: "فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا"

يبقى النعم التانية فيها حاجتين: التنوع والكثرة. والتذكير بالأولانية؛ القدرة المطلقة التي لا يستطيع الإنسان أن يخرج عنها.

وكأن هذه الآيات تحاصر الإنسان المُعرِض، وكأن هذه الآيات لا بد أن يستعملها الداعية مع الإنسان المُعرِض. يبقى الإنسان المُعرِض له خطاب، والإنسان المُقبِل له خطاب، والإنسان المُتحيّر له خطاب، والإنسان المُستضعَف له خطاب، والإنسان المستكبر له خطاب. ده الإنسان المعرض اللي مش عايز يسمع، في أول السورة هو مستغني، وده سر تسمية يوم القيامة هنا باسم (الصاخة)، –احنا اتكلمنا عن اسم (الطامة) ليه اسم الطامة؟ وهييجي ليه اسم الغاشية–، هنا اسم (الصاخة) التي تصم الآذان، لأنه ماكانش عايز يسمع، فهتيجي حاجة هتخليه يسمع غصبًا عنه!

كيف تتكلم مع هذا الشخص المعرض؟

هنا نتكلم معاه إزاي؟ تُذَكّرُه إن انت هتروح من ربنا فين؟! ربنا خلقك من نطفة، "فَقَدَّرَهُ"، يعني إيه "فَقَدَّرَهُ"؟ ربنا قدَّر كل حاجة فيك؛ ربنا قدَّر طولك وشكلك وعرضك ولون عينيك وعمرك والقلب لغاية امتى، والنَفَس، كل ده ربنا اللي قدَّره، أنت لم تفعل شيئًا!

انت بتحاصر الإنسان، انت بتنكر إيه؟! ده انت كل حاجة ربنا اللي عملها فيك، بتنكر إيه؟ ده انت ماتقدرش تختار لون شعرك! أنت ماتقدرش تختار شكلك، أنت ماتقدرش، ده حتى شوف الكلمة: "ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ"؛ أنت ماتعرفش تنزل من بطن أمك، لولا أن ربنا يسر لك السبيل! قيل: السبيل هو مكان خروج الإنسان من الرحم، لولا أن ربنا يسر ماكنتش نزلت، ده اختيار الإمام الطبري.

وقيل: "السَّبِيلَ يَسَّرَهُ" يعني طريق الهداية أو طريق الضلال، ومال إليه ابن كثير.

لكن لو قولنا سياق الآيات على اختيار الإمام الطبري، يعني حتى أنت كنت نطفة، ربنا خلاك بني آدم، كيف تحولت النطفة لبني آدم؟ ومن الذي قدَّر هذه الأشياء؟ ربنا، أنت ماعملتش حاجة! كيف خرجت من بطن أمك؟! ربنا، أنت ماعملتش حاجة، أنت مااخترتش امتى تنزل، ولا تعرف تنزل لوحدك! "ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ" وربنا هيختار امتى تموت، أنت لا تتحكم في ميعاد موتك، أنت لا تستطيع أن تفعل ذلك.

"ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ" ربنا خلاك تبقى تحت الأرض، قيل ده تكرمة، وقيل ده مش بس تكرمة؛ ده قهر للإنسان، ربنا خلاك تتحط تحت الأرض "ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ"، كان متوقع سياق الآيات أن ربنا يقول إيه: "ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ": (ثم أنشره): يعني يبعثه، لأ، تيجي كلمة ثم إيه؟ "ثُمَّ إِذَا شَاءَ" ليه كلمة "إِذَا شَاءَ"؟

كأن ربنا بيقول لك:أنا هاسيبك ميت لما أشاء إنك تُبعث، فربنا يبعثك في الوقت الذي يشاء.

طيب انت بتعمل إيه؟ ربنا اللي جابك من النطفة، وربنا اللي قدَّر من وسط ملايين الحيوانات المنوية إن الحيوان المنوي ده هو اللي يوصل، وربنا اللي قدَّر المواصفات، وربنا اللي قدَّر البويضة، وربنا اللي قدَّر الزمان والمكان والشكل وسبيل النزول وميعاد حياتك وميعاد موتك ومتى تقبر، ثم يتركك إلى أن يشاء الله، ثم يبعثك.. انت عملت إيه؟!

"كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ"، بعد كل ده انت لسه مش عايز تنفذ أوامره!

كلمة "كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ" قيل من معانيها؛ أي: كلا لما يقضِ الإنسان (الفاعل) ما أمره الله به، يعني لسه ماعملش الطاعات الواجبة عليه، يعني بعد ذكر هذه النعم اللي فاتت أنت ماعملتش الواجب عليك تجاه شكر هذه النعم، أنت واجب عليك شكر نعم معينة، أنت معملتوش.

وقيل: "كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ" يعني لسه الله –عز وجل– لم يشأ أن يبعثه الآن ويتركه الآن يعيش في الدنيا، وده اختيار الإمام ابن كثير القول التاني. "كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ"، إيه علاقة الآيات دي باللي قبلها؟

فيه ناس قالوا: إذا أراد الإنسان أن يقضي ما عليه من شكر نعمة الله –عز وجل– فعليه أن ينظر إلى نعم الله –عز وجل–؛ "فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ" يبقى ربطها باللي قبلها.

قال: "كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ" أي لم يفعل الإنسان ما أمره الله –عز وجل– به من الشكر، وإذا أراد الإنسان أن يشكر الله حق شكره، فليفعل ماذا؟ "فَلْيَنْظُرِ" أي تدبرًا، "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ"

وقيل: إذا أراد أن يعظم الله حق قدره: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ" فليتأمل في آيات الله.

<u>هنجد هنا السورة جابت النظر في حاجتين:</u>

١– النظر في آيات الله المتلوة –وهي القرآن– اللي هي الصحف المطهرة.

٢– والنظر في الكون؛ آيات الله الكونية المرئية.

يبقى النظر في آيات الله المقروءة، والنظر في آيات الله المنظورة. الكون المنظور، وكتاب الله –عز وجل– القرآن، الكون والقرآن. اللي عايز يفعل ما أمره الله –عز وجل– به فلينظر في القرآن ولينظر في الكون "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ".

"أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا": الكثرة.

"ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا": يعني هذه النبتة لما طلعت مش هي اللي شقَّت الأرض، النبتة ضعيفة، منظر النبتة الخضرة الصغيرة وهي بتشق الطين وتطلع؛ ربنا بيقول لك أنا اللي شقيت لها ده مش هي اللي عملته.

"أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا" نسب الله –عز وجل– الشق إليه. "ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا" من اللي دخل جوه وأنبت الحب؟!

"وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا" متكالبة متكاثفة، مين اللي عمل لك الجنات؟ من اللي عمل لك كل ده؟

"وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا" ومش ليك انت لوحدك "مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ"، مين اللي عمل لك كل النعم دي؟ قلنا هنا النعم بتتميز بالكثرة والتنوع.

"فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ" طالما هو مش راضي ييجي بقى، هو مارضاش ييجي التاني المستغني، طيب انت مش هتيجي الصَّاخة هي اللي هتيجي.

"فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ" قولنا ليه اختيار "الصَّاخَّةُ" هنا؟

لأن هو ماكانش عايز يسمع، كان رافض يسمع، فهنا ربنا بيقول له هتسمع غصبًا عنك الصاخةَ يوم القيامة. هناك كان بيهرب من النبي –صلى الله عليه وسلم– مش عايز يسمع، هيجي يوم القيامة يهرب من قرايبه. هناك كان هربان من النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومستغني بإيه؟ مستغني بعشيرته، هناك هيهرب من هذه العشيرة "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ".

فيه هنا سؤالين: ليه جه الترتيب ده؟ لماذا بدأ بالأخ، وبعدين الأم والأب، وبعدين الزوجة والبنين، في حين في سورة المعارج جه ترتيب عكسي؟ يعني هنا بدأ من الأبعد إلى الأقرب، الأخ أقرب منه الأب والأم، أقرب منهم الزوجة، وأقرب حاجة للشخص الأولاد، ده اللي بيحصل بعد الزواج، الترتيب ده؛ بيبقى أخوك وبعدين الأم والأب وبعدين الزوجة وبعدين أقرب حاجة ليك الأولاد، بدأ من الأبعد إلى الأقرب. نجد سورة المعارج العكس: "يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" المعارج١١:١٤، بدأ من الأقرب للأبعد.

ليه هنا بدأ بالأبعد؟

هنا هو كأنه عايز يهرب، هو هنا عايز يهرب من أي حد، من أي علاقات. فبيبدأ بالعلاقة الأبعد يكسرها؛ لأن لسه فيه فرصة؛ هو هنا فرصة الهرب.

هناك سورة المعارج فرصة الافتداء. يعني إيه؟

تخيل واحد بيترمى في جهنم، خلاص بيقع، عايز يجيب أقرب حاجة جنبه في إيده ياخدها يرميها وينجو، فبيجيب أثمن حاجة، بمعنى: لو واحد بيغرق وقالوا له: ادفع فلوس واحنا ننقذك، هيمد إيده على أغلى حاجة في ثروته ويدفعها، ويقول: طيب خدوا ده ونجوني! أنما ده لسه بيهرب، فبيبدأ يهرب من أخوه، يلاقي أبوه وأمه، يبدأ يهرب من أبوه وأمه، يلاقي زوجته -وهنا الزوجة اتسمت صاحبة لأن العلاقة بينهم كويسة، وبالرغم من كده هيهرب منها-، ويبدأ يهرب من زوجته، حتى أولاده يبدأ يهرب منهم! هناك: بيمد إيده على أقرب حاجة عايز ينجو، فيمد إيده على أغلى حاجة يعتقد أنه هينجو لما يقدم أغلى حاجة! فيقدم الأولاد، ولسه مفيش فايدة، يقدم الأخ مفيش فايدة!

ومن لطف التعبير هناك: ماجابش الأب والأم، كأن حتى مراعاة للأدب مع الوالدين حتى هناك في الافتداء، هنا الفرار ماشي انت هتسيبهم لكن هناك انت هترميهم في جهنم، فربنا قال: "يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ"، ماذكرش لفظ الأب والأم.

لدرجة إن هناك لو خلص ثروته كلها وماعدش غير العالم، ارمي العالم كله في النار بس أنا أنجو مش مشكلة! يتقال له نرمي الدنيا كلها في النار وانت تنجو؟ يقول لك: آه، مش مشكلة.

لكن هنا هو لسه بيفر. وبعدين هنا ماقالش يفر من الأخ والأب والأم، قال: "يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ"، ربنا بيذكِّرَه بعلاقته. أخوك انت هتهرب منه؟ آه؛ هاهرب منه.

وأمك وأبوك، هتهرب منهم؟ آه؛ هأهرب منهم.

زوجتك التي صاحبتك في المشاكل، هتهرب منها؟ آه؛ هاهرب منها.

أولادك الذين هم قطعة منك، تهرب من اللي قطعة منك؟ آه؛ أهرب منهم.

شوف اللي كان بيهرب من الموعظة والنصيحة، دلوقتي يهرب من أولاده "وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ".

ليه يهرب منهم؟ "لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ"

خد بالك من كلمة "يُغْنِيهِ" وكلمة "اسْتَغْنَى" في الأول.

في الدنيا كان مستغني وكان مشغولًا بالفلوس والأولاد، هناك مشغول -في الآخرة- عن الفلوس والأولاد. هناك "وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ" التكوير:٤، هناك "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ".

في الدنيا كان مشغولًا بالأولاد والأموال عن الدين، هناك مشغول بشأنه الخاص عن الأموال والأولاد "لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ".



في الآخر ينقسم الناس إلى فريقين:

– "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ"، دول الدعاة إلى الله، دول العاملين لدين الله –عز وجل–، اللي بيُسفروا للناس، الإسفار ده جاي من الصبح والإنارة والإضاءة، وهذا هو أحد معاني (سفرة): أنه بيضيء للناس.

فكذلك "مُسْفِرَةٌ": زي ما كان بينور للناس طريقهم في الدنيا، ييجي يوم القيامة وشه منور، ينور للناس.

"ضَاحِكَةٌ": زي ما كان بيضحك للناس ويستبشر بهم ويدعوهم إلى الله –عز وجل–، كذلك يكون ضاحك، زي ما أدخل السرور على الناس في الدنيا بأن هو علمهم دين ربنا، كذلك يكون ضاحك يوم القيامة.

"مُسْتَبْشِرَةٌ" زي ما كان بيدخل البشرى على الناس في الدنيا ويبشرهم بالجنة –ليسلموا ويدخلوا في دين الله –عز وجل– كذلك هو يستبشر.

مسفرة: أي مضيئة. ضاحكة مستبشرة: مستبشر باللي هيشوفه من النعيم، يضحك لما رأى من نعيم الله –عز وجل–، ولسه مستبشر لما سيحدث من نعيم.

– الصنف التاني: "وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ –والعياذ بالله– عَلَيْهَا غَبَرَةٌ"، (الغبرة): التراب. "تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ"، القترة: السواد.

يبقى عليها تراب ووشه أسود، اجتمع عليه حاجتين: التراب والسواد.

خُتمت السورة بـ "أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ".

"الْكَفَرَةُ" دي مع الغبار، "الْفَجَرَةُ": مع السواد. وكأن الغبار والسواد دي الحواجز التي وضعها بينه وبين الدين.

الغبار: الكفر، والسواد: دي المعاصي، دي الحاجات اللي وضعها بينه وبين دين ربنا. فهتظل برضه تيجي على وجهه –والعياذ بالله– يوم القيامة.

فالغبرة: ده الكفر. الكافر: يعني الزارع اللي بيجيب البذرة، ويكفرها في الأرض –يعني يغطيها– يحط التراب ويغطيها عشان تدفن في الأرض.

كذلك الكافر هو اللي حط التراب على فطرته وعلى سمعه –مش عايز يسمع– وعلى بصره، وماكتفاش بكده، ده فجر في المعاصي، فكل معصية تخلي وشه أسود أكتر، فجمع بين الكفر والفجور، فكذلك يجتمع على وجهه التراب والسواد. فكما جمع بين الكفر والفجور، يجتمع على وجهه الغبار والسواد.

فانتهت السورة إلى فريقين: فريق الدعاة العاملين اللي بيُدخلوا على الناس البشرى، اللي بينوروا للناس طريقهم. اللي في وسط الغبار والسواد الموجود، في وسط الكفر والمعاصي المنتشرة، هو لسه بيجاهد عشان ينشر دين ربنا بين الناس.

فيه ناس وجوهها مسفرة ضاحكة مستبشرة، بالرغم إن فيه ناس –والعياذ بالله– هتيجي استجابت لهؤلاء فتأتي يوم القيامة "عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ".

أحبتي في الله: هذه السورة سورة مهمة جدًا للدعاة العاملين لدين الله. فصلت بين النبأ والنازعات والتكوير والانفطار. هنجد أن سورتين اتكلموا عن يوم القيامة والموت وسورة مهمة للداعية، وبعدين سورتين عن يوم القيامة: التكوير والانفطار، وبعدين سورة مهمة عن المعاملات: سورة المطففين.

فتجد سور يوم القيامة، وسور تُعلمك تتعامل إزاي، ودي سورة مهمة جدًا للدعاة؛ حتى لا ينحرفوا في طريقهم.

نسأل الله –عز وجل– أن يستعملنا وأن يثبتنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. وجزاكم الله خيرًا.